الرِّســـالة ٢٥٧

أَلَيْسَ هذا هُوَ النّجَارُ؟.. ابْنُ مَرْيَمَ؟!

(Arabic – Isn't this the carpenter? Isn't this Mary's son?)

أحبّائِى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **أَلَيْسَ هذا هُوَ النّجَارُ؟.. ابْنُ مَرْيَمَ؟!**

ومِنْ إنجيل مُرقسَ الأصْحَاح السَادِس نقرأ العَدَدَين الثانِى والثالِث:

"ولمّا كَانَ السّبْتُ. ابتدَأَ يُعلِّمُ فِى المَجْمَع. وكثيرُونَ إذ سَمِعُوا بُهتوا قائِلِينَ: مِنْ أَيْنَ لِهذا هذِهِ؟. ومَا هذِهِ الحِكمَةُ التِى أُعْطِيَتْ لهُ؟. حتى تجْرى على يَدَيْهِ قوّاتٌ مِثْلُ هذِهِ؟. أليْسَ هذا هُوَ النّجّارُ ابْنُ مَرْيَم؟. وأخُو يَعقوبَ ويُوسِى ويَهُوذا وسِمْعَانَ؟. أولَيْسَتْ أخَوَاتهُ ههُنَا عِنْدَنَا؟. فكَانوا يَعثُرُونَ بهِ".[١]

بَعْضُ النّاس يَخْدَعُهُمْ المَظْهَرُ ويَسْعُونَ وراءَهُ دُونَ مُبَالاةٍ بالجَوْهَر. يَميلونَ إلى كلِّ مَا هُوَ مُزَخْرَفٌ. وإذا لمْ يكنْ كذلِكَ قامُوا بزَخْرفتِهِ خَادِعينَ أنفسَهُمْ بأنفسِهِمْ. وزَخْرَفة الأشْيَاءِ تعْنِى إظهَارَهَا حَسنَاء. فيَظهَرُ الشّىْءُ بَعْدَ زَخْرفتِهِ شَيئاً آخَرَ بَعيداً عَنْ أصلِهِ المُعتاد. ويُحَاولونَ إخفَاءَ عُيُوبهِمْ أو إنكَارَهَا وإنكَارَ مَحَاسِن الآخَرينَ أوْ إخفَاءَهَا. واعتادُوا أيْضاً تشْويه الشّىْءِ الذِى لا يقبلونَهُ. وتشْويهُ الشّىْء يَعنِى إظهَارَ مَسَاوئِ يَرُونَهَا فيهِ. حتى لوْ عَادَ ذلِكَ التشْويه عليْهِمْ بالضّرَر. فيظهَرُ الشّىْءُ بَعْدَ تشْويهِهِ شَيئاً أخَرَ بعيداً عَنْ أصلِهِ المُعتادِ. لأنّ جُلّ اهتِمَامِهِمْ هُوَ اكتِسَابُ رضَا الآخَرينَ عليْهِمْ. ومَا يَهْدِفونَ إليْهِ هُوَ أنْ يَحُوزُوا إعْجَابَ وتقديرَ المُجتمَع الذِى يَعيشُونَ فيهِ.[٢]

وإنْ رَجعْنَا إلى الكتابِ المُقدّس نرَى أمثِلة لهؤلاء. فأبشَالوم بْن دَاوُدَ الملِك حَاولَ تشْويهَ صُورَة أبيهِ أمَامَ الشّعْبِ الإسْرَائِيلى مُدّعياً أنّهُ الكفيلُ بإعْطَائِهِمْ حقوقَهُمْ الضّائِعَة. حتى يَستحْوذ على المَملكَةِ باستبْعَادِ أبيهِ. وأثنَاءَ مُحَاكمَةِ يَسُوعَ جَاءَ بهِ اليَهُودُ إلى دَار الولايَة. ولمْ يَدْخلوا تِلْكَ الدَار لِكَىْ لا يتنَجّسُوا فيَأكلونَ الفِصْحَ. فيَا لهُ مِنْ خِدَاع وزَيْف. وحينَ خَرَجَ بيلاطسُ إليْهِمْ وقالَ: أيّة شِكَايَة تقدّمُونَ على هذا الإنسَان؟. قالوا لهُ: لوْ لَمْ يكنْ فاعِلُ شَرٍّ لمَا كنّا سلمنَاهُ إليكَ. وفِى النّهَايَةِ اختارُوا بَارَابَاسَ اللِصّ ليُعتقَ. وطلبُوا أنْ يُصلبَ يَسُوعُ البَار.[٣]

ومَا ذكَرَهُ مُرقسُ البشيرُ فِى إنجيلِهِ الأصْحَاح السّادِس. ذكَرَهُ متى البشيرُ فِى إنجيلِهِ الأصْحَاح الثالِث عَشَرَ. ويُعْطِينَا صُورَة وَاضِحَة لأنَاس لمْ يَسْعَوْا وَرَاءَ الجَوْهَر. بلْ اكتفوا بالمَظْهَر وانطلى عليْهِمْ زَيْفُ البَاطِل فتَبعُوهُ. ووَضَعُوا حَاجزاً كثِيفاً بيْنَهُمْ وبيْنَ الحَقِّ ففقدُوهُ. قالَ متى البشيرُ مَا قالهُ مُرقسُ البشيرُ عَنْ الرّبِّ يَسُوعَ: "أنّهُ لمّا جَاءَ الرّبُّ يَسُوعُ إلى وَطنِهِ كَانَ يُعلِمُهُمْ فِى مَجْمَعِهِمْ. فبُهتوا وقالوا: مِنْ أيْنَ لِهذا هذِهِ؟. ومَا هذِهِ الحِكمَةِ التِى أعْطِيَتْ لهُ؟. حتى تجْرى على يَدَيْهِ قوّاتٌ مِثْلُ هذِهِ؟. أليْسَ هذا هُوَ النّجَارُ ابْنُ مَرْيَم؟. وأخُو يَعقوبَ ويُوسِى ويَهُوذا وسِمْعَانَ؟. أولَيْسَتْ أخَوَاتهُ ههُنَا عِنْدنَا؟. فكَانوا يَعثُرُونَ بهِ. وأمّا يَسُوعُ فقالَ لهُمْ: ليْسَ نَبىٌّ بلا كَرَامَةٍ إلا فِى وَطنِهِ وفِى بَيتِهِ. ولمْ يَصنَعْ هُنَاكَ قوّاتٍ كثيرَةٍ لِعَدَم إيمَانِهِمْ".[٤]

وبالتأمُل فيمَا جَاءَ بالوَحْى بإنجيل مُرقسَ الأصْحَاح السَادِس بالأعْدَاد مِنَ الأوّل إلى السّادِس. ومَا ذكَرَهُ متى البشيرُ فِى إنجيلِهِ الأصْحَاح الثالِث عَشَرَ مِنَ الرّابع والخَمْسينَ إلى الثامِن والخَمْسينَ. نَستطيعُ أنْ ندْرِكَ ثلاثَ حَقَائِقَ هَامّة. تكشِفُ لنَا مَا بداخِل قلوبِ هؤلاءِ النّاس الذينَ رفضُوا الإيمَانَ وحرَمُوا أنفسَهُمْ مِنْ بَرَكَاتٍ عُظمَى.

أوّلاً: مَاذا حَدثَ لمّا جَاءَ الرّبُّ يَسُوعُ إلى وَطنِهِ؟.. كَانَتْ رُؤيَة النّاس لهُ هُنَاكَ تنْحَصِرُ فِى ثلاثَةِ أمُور. (١) : أنّهُ النّجَارُ ابْنُ مَرْيَمَ.. فقالوا مِنْ أيْنَ لِهذا هذِهِ؟. بَهَرَهُمْ شُعَاعٌ مِنْ شَمْس البرِّ. ولمْ يُبْهرْهُمْ شَمْسُ البرِّ نفسُهُ. أكبَرُوا الحِكمَةَ التِى سَمِعُوهَا. ولمْ يُدْركوا أنّهَا خارجَةَ مِنْ فم الذِى بهِ كَانَ كلُّ شَىْءٍ. وبغَيْرِهِ لمْ يكنْ شَىْءٌ مِمّا كَانَ.

---

[١] إنجيل مُرقس ٦: ٢ – ٣ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] سفر صموئيل الثانى ١٩: ٢٦ – ٢٧

[٣] سفر صموئيل الثانى ١٥: ٣ – ٦ ، إنجيل يوحنا ١٨: ٢٨ – ٤٠

[٤] إنجيل مُرقس ٦: ١ – ٦ ، إنجيل متى ١٣: ٥٤ – ٥٨

أخَذتْ بألبَابهمْ قوّاتٌ أجْرَاهَه. وفاتَهُمْ أنّ مَنْ أجْرَاهَا هُوَ بَهَاءُ مَجْدِ اللهِ ورَسْمُ جَوْهَرِهِ وحَامِلُ كلِّ الأشْيَاءِ بكلِمَةِ قدْرَتِهِ (٢) : سَمِعُوا الحِكمَةَ ورَأوْا القوّات.. وكَانَ ذلِكَ كَافياً كَيْ يُؤمِنوا. ولكِنّ السَمْعَ والرُؤيَةَ هُمَا وَسيلتان. لا نفعَ مِنْ وَرَائِهِمَا للإنسَان طالمَا كَانَ القلبُ مُوصَداً أوْ مُتحَجِّراً رَافِضاً لاستقبَال الحَقِّ.
(٣) : قالوا: أولَيْسَتْ أخَوَاتُهُ ههُنَا عِنْدَنَا؟.. إنّ انتسَابَهُ لِمَنْ عِنْدَهُمْ أصبَحَ عَثْرَة لهُمْ. احتقرُوا أنفسَهُمْ. لِدَرَجَةِ أنّهُمْ احتقرُوا مَنْ يَمُتُّ إليْهِمْ بصِلةٍ. حتى لوْ كَانَتْ صِلةِ النَسَبِ أوْ الجوَار أوْ الوَطن الوَاحِد.[١]

لمْ تكنْ تِلكَ المَرّة الوَحيدَة التِي يُوَاجَهُ فيهَا الرّبُّ يَسُوعُ بالرّفض مِنَ اليَهُودِ وَعَدَم القبُول. مَعَ أنّهُ لِخَاصّتِهِ جَاءَ ولكِنّ خَاصتَهُ لمْ تقبلهُ. لقدْ جَاءَ بإنجيل يُوحنّا الأصْحَاح الأوّل أنّ فيلبُّسَ تقابلَ مَعَ نثنَائيلَ وقالَ لهُ: "وجَدْنَا الذِي كتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النّامُوس والأنبيَاءُ. يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الذِي مِنَ النّاصِرَةِ". لقدْ فوجِئَ نثنَائيلُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كلِمَةَ النّاصِرَةِ. لأنّهُ رَسَمَ فِي خَيَالِهِ صُورَة أخْرَى لِلمَسيّا. لعلهُ كَانَ يَأملُ أنْ يكونَ مِنْ مَدينَةٍ أفضلَ. لِذلِكَ اعترَضَ على فيلبُس بقولِهِ: "أمِنَ النّاصِرَةِ يُمكِنُ أنْ يكونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟" فقالَ فيلبّسُ: "تعَالَ وانظر". كَانَ فيلبُسُ يَعلمُ أنّ حَاجَة نثنائيلَ ليْسَ فقط أنْ يَسْمَعَ عَنْ يَسُوعَ. بلْ أنْ تكتَحِلَ عَينَاهُ بمَنْ هُوَ أبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بنِي البَشَر. جَاءَ نثنَائيلُ وتقابلَ مَعَ يَسُوعَ فلمْ يَسَعْهُ إلا أنْ يَعترفَ مُعلِناً إيمَانَهَ قائِلاً ليَسُوعَ: "يَا مُعلِمُ أنْتَ ابْنُ اللهِ أنْتَ ملِكُ أسْرَائيل".[٢]

ثانياً: الانبهَارُ والإعْجَابُ ليْسَا دليلاً على الإيمَان.. لقدْ شَهدُوا لهُ بالحِكمَةِ. وبُهتوا مِنْ تعليمِهِ فِي مَجْمَعِهِمْ وبَهَرتهُمْ القوّاتُ التِي أجْرِيَتْ على يَدَيْهِ. ولكِنّ الوَحْيَ يُسَجِّلُ أنّ الرّبّ اكتفَى بمَا صَنَعَ مَعَهُمْ. فلمْ يَشَأ أنْ يَصنَعَ هنَاكَ قوّاتٍ كثيرَةٍ لِعَدَم إيمَانِهِمْ. إنّ الإيمَانَ يفتَحُ الأبْوَابَ لقوّاتٍ كَثيرَةٍ عَظيمَة. وعَدَمُ الإيمَان يُعَطِلُ البَرَكَاتِ ويُوقِفُ تدفقَ إحْسَانَاتِ اللهِ على النفوس المُحتاجَةِ إلى الشِفاءِ مِنْ الأسقام. والتحْرير مِنْ قيُودِ العَدُوِّ. كثيرُونَ يَنْبَهرُونَ ولكِنّهُمْ لا يَحْصُلُونَ على شَيْء. لأنّ قلوبَهُمْ انشغَلتْ بالعَالم الفَانِي وأصْبَحَتْ مَحَبّة العَالم عَائِقاً أوقفَ عَملَ نِعْمَةِ الإيمَان. فبدُون إيمَان لا يُمكن إرضَاءُ اللهِ. إنْ كُنْتَ أخِي القارئ تتسَاءَلُ: لِمَاذا لمْ أحْصُلْ على تِلكَ النِعْمَةِ؟ أنْصَحُكَ بأنْ تفحَصَ قلبَكَ. فرِغْهُ مِمّا يُشغِلهُ مِنْ مغْرِيَاتِ العَالم الشرِّير. ستَجدُ بَعْدَهَا تيّارَ النِّعْمَةِ مُتدفِقاً ليَمْلأ قلبكَ إيمَاناً وفرَحاً وسَلاماً. إنّ الإيمَانَ المَسيحِيّ هُوَ إعْلانٌ سَمَاوِيٌّ مِنَ الآب لِلقلبِ المُتَعطِش لِمَعْرِفةِ الحَقِّ.[٣]

ثالِثاً: امتيازَاتُ الرُؤيَةِ الصّحيحَةِ بعَينَيْ الإيمَان والإعلان السّمَاوِي.. بإعْلان مِنَ الآبِ السماوى شَهدَ بُطرُسُ أنّ يَسُوعَ هُو المَسيحُ ابْنُ اللهِ الحَيّ. وشهد بُولسُ قائِلاً: وأعَرّفكم أيّهَا الإخْوَة الإنجيلَ الذِي بَشّرْتُ بهِ أنهُ ليْسَ بحَسَبِ إنسَان. لأنّي لمْ أقبلهُ مِنْ عِنْدِ إنسَان ولا عُلِّمتهُ بلْ بإعْلان يَسُوعَ المَسيح. ويُعْوزُنَا الوقتُ لِنقدّمَ شَهَادَةَ كثيرين. ولكِنْ يلزمُنَا أنْ نَعْرفَ امتيَازَاتِ الذِي عَرَفَ الرّبّ وآمَنَ بهِ.(١) : نَالَ غُفرَانَا لِخَطايَاهُ وتبْريراً وسَلاماً مَع اللهِ. (٢) : كُتِبَ اسْمُهُ فِي سِفرِ الحَيَاةِ وضَمَنَ الحَيَاةَ الأبَدِيّة. (٣) : انتقلَ مِنْ ملكوتِ الظلمَةِ إلى ملكوتِ اللهِ وأصْبَحَ لا شَيْءَ مِنَ الدَينونَةِ عليْهِ. (٤): سُكنَى الرّوح القدُس دَاخِلَ قلبهِ ونَالَ بنَوِيّة للهِ بالولادَةِ الثانيَة. (٥) : أصْبَحَ سَفيراً لِلرّبِّ يَسُوعَ يُعلِنُ الأخْبَارَ السّارّةَ لِلنفوس المُستعْبَدَةِ لِلخَطيّةِ المُنقادَةِ لِخِدَاع إبليسَ. (٦) : أفرَاحٌ دَائِمَة بانتصَارَاتٍ مَجيدَةٍ على قوَى الشرِّ باسْتِخْدَام الرّبِّ لهُ. (٧) : مُستعِداً ومُنتظِراً وطالباً سُرْعَة مَجيءِ الرّبِّ الثانِي ليكونَ فِي حَضْرَةِ الإلهِ القدّوس إلى أبَدِ الآبدين. هذا هُوَ النّجَارُ ابْنُ مَرْيَم. إنّهُ يَسُوعُ مُخلِصُ البَشَريّةِ وفاديهَا.[٤]

أدْعُوكَ أخِي لِتشتَرِكَ مَعِي فِي تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ.. أشكرُكَ ربّي يَا مَنْ أحْبَبتنِي ذلِكَ الحُبّ العَجيبَ. إذ ارْسلتَ ابْنَكَ الوَحيدَ ليفتديَنِي بدمِهِ الطاهِرِ باذِلاً نفسَه على عُودِ الصليب. لِكَيْ لا أهلِكَ مَعَ الهَالِكينَ بلْ تكونُ لِي الحَيَاة الأبَدِيّة مَعَ سَائِر الأبْرَار والقدّيسين. أعظِمُ اسْمَكَ إلهِي يَا مَنْ أنرتْ قلبِي لِمَعْرفتِكَ واخترتنِي لأكونَ لكَ ابْنَاً. وملأتَ قلبِي بسَلامِكَ وجَعلتَ لِي اسْماً فِي سِفرِ الحَيَاةِ. أسْألُكَ حِكمَةَ وقوّة لأحيَا وفقَ إرَادَتِكَ مَا حَييتُ. مُعلِناً خَلاصَكَ لِلنفوس المُحتَاجَة. مُمَجداً لاسْمِكَ العَظيم القدّوس مُنتظِراً وطالباً سُرْعَة مَجيءِ مُخلِّصِي. أرفعُ صَلاتِي فِي اسْم يَسُوعَ فادِيّ. واثِقاً مِن استجَابتِكَ. مُتمَسِكاً بوَعْدِكَ. يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إليّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِي القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أوْ غَيرَهَا ستجدُ ذلِكَ فِي:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[١] سفر ملاخى ٤: ٢ ، إنجيل يوحنا ١: ٣ ، الرسالة إلى العبرانيّين ١: ٣
[٢] إنجيل يوحنا ١: ٤٣ – ٥١ ، سفر المزامير ٤٥: ٢
[٣] الرسالة إلى العبرانيّين ١١: ٦ ، إنجيل متى ١٦: ١٧
[٤] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ١: ١١–١٢ ، وإلى مؤمنى رومية ٨: ١ & ١١ ، رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ١٢